Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا نروم شيئا من ذلك ، وإنما نقصد فحسب التّلميح إلى وجود ترابط برهانيّ ذي احتكام رياضيّ في صميم المنهج الاستدلاليّ لدى ابن خلدون بالذّات ، فحيرتنا إذن منهجية أصوليّة أكثر ممّا هي استقصائية مختصّة ، لأنّنا نراهن بوجود هذا المقوّم الرّياضيّ في حدّ ذاته كما نراهن بتفاعله العضويّ مع البعدين الآخرين : البعد البيولوجيّ والبعد العقلانيّ .

إنّ أبرز ما يتسنىّ اشتقاقه من الفكر الخلدونيّ في هذا المقام بغية صوغه على المعيار الرّياضيّ هو ارتكازه على مبدإ التّناسب باعتباره ناموسا إجرائيّا يفعل فعله في الحوادث والواقعات، وباعتباره قانونا تجريديّا يوفّر للعقل لحظات من السّيطرة على الظواهر في الوجود. ولمبدإ التّناسب سلطان غريب في تفسير مقوّمات الحدث الإنسانيّ ، كما أنّ له نزوعا واضحا إلى تخلل كل تجليات التّواجد العمرانيّ ، وقد أحكم ابن خلدون استغلاله إلى مرتبة غدا معها أسّا معرفيا نزعم أنّ له بموجب ذلك طاقة المقوّم الأصوليّ العام ، فليس قانون التّناسب مجرّد تشكيل صوريّ ، ولا هو مجرّد إسقاط ذهنيّ، وإنّما هو وقوف من ابن خلدون على حقيقة مزدوجة : قدمها الأولى في حقل الواقع المعيش ، وقدمها الثانيّة في حيز التّصوّر المعرفيّ . ولكل تلك الأسباب اكتسى هذا القانون طابع الاختباريّة مما ترتكز عليه نظريّة ابن خلدون في المعرفة والإدراك.

ولمبدإ التّناسب صور يتجلىّ بها ، منها صورة المعادلة الجبريّة التي تتحدّد علاقة الطرفين فيها، لا بالطرد ولا بالعكس، وإنّما بالتّكاثر والرجحان ، بمعنى أنّ التّناسب الجبريّ وإن